قوس قزح

12 ٪ من أطفال اليمن يرضعون طبيعيا

اليونيسيف تحتفي بأسبوع الرضاعة العالمي وتدعو الى عدم استخدام الحليب الصناعي

14 أكتوبر/متابعات:

أوصت منظمة اليونيسيف بتوفير مزيد من الدعم المهني مزيد من الدعم المهني الرسمي وغير الرسمي للأمهات اللائي يرضعن أطفالهم طبيعياً .

وقالت السيدة آن م.فينمان المديرة التنفيذية لليونيسيف في رسالتها بمناسبة إحياء الأسبوع العالمي للرضاعة أن الرضاعة الطبيعية الحصرية طيلة الأشهر الستة الأولى من عمر الطفل يمكن أن تؤدي إلى خفض نسبة وفيات الأطفال دون سن الخامسة إلى 13 في المائة في البلدان النامية.

وعلى الرغم من التقدم الذي تحقق على مدى السنوات الخمس عشر الماضية إلا أن نسبة الأطفال الذين يرضعون رضاعة طبيعية حضرية دون ستة أشهر يقدر بـ 28 ٪ المائة من الرضع دون سن ستة أشهر في العالم النامي.

وأشارت إحصائيات وزعها مكتب اليونيسيف بصنعاء إلى نسبة تدني معدل الرضاعة الطبيعية الحصرية للأطفال دون ستة أشهر في اليمن إلى 12 ٪ .

واعتبر مدير الإعلام باليونيسيف نسيم الرحمن تلك النسبة ضئيلة وتتطلب برامج توعوية لتثقيف المجتمع والأمهات بأهمية الرضاعة الحصرية للأطفال دون ستة أشهر لإكساب الطفل المناعة الطبيعية اللازمة وحماية من الإصابة بالكثير من الأمراض .

مؤكداً أن اليونيسيف تعمل من اجل حصول على رضاعة طبيعية حصرية فقط دون أي مكملات غذائية الأطفال خلال الأشهر السته الأولى من عمر الأطفال ، ومن ثم التدرج بالمكملات الغذائية إلى جانب الرضاعة الطبيعية مع الحرص على عدم استخدام الحليب الصناعي .

وترى منظمة اليونيسيف أن توعية الأمهات وتقديم الدعم لهن سيؤديان إلى زيادة كبيرة في عدد الأشهر التي يرضعن فيها أطفالهن طبيعياً وأن هذه التوعية وهذا الدعم يساعدان على وجه الخصوص في تعزيز الرضاعة الطبيعية الحصرية بحسب دراسات عملية أجريت مؤخراً .

وأظهرت دراسات أخرى أن تقديم المشورة والدعم في المرافق الصحية قد أدى إلى حدوث زيادة في عدد الأمهات اللائي يبادرن إلى الرضاعة الطبيعية خلال الساعة الأولى من الوضع.

وتؤدي الرضاعة الطبيعية الحصرية خلال الأشهر الستة الأولى من عمر الطفل إلى خفض وفيات الرضع المرتبطة بأمراض الطفولة الشائعة وبنقص التغذية.

ويمكن أن تؤدي الرضاعة الطبيعية إلى خفض عدد الوفيات التي تنجم عن الالتهابات التنفسية الحادة وعن الإسهال وهما سببان رئيسيان لوفيات الأطفال وكذلك تلك التي تنجم عن الأمراض المعدية الأخرى.

وتساهم أيضاً لرضاعة الطبيعية في صحة الأمهات وتخلق رابطة بين الأم والطفل.

وإطعام الرضيع إطعاما صحيحاً يمكن أن ينقذ الأرواح ويكفل النمو والنماء على النحو الأمثل ويساهم في تحقيق الأهداف الانمائية للالفية.

وتهدف منظمة اليونسيف من احياء اسبوع الرضاعة العالمي في نحو 120 دولة الى تشجيع الرضاعة الطبيعية الحصرية طيلة الأشهر الستة الأولى من عمر الطفل لما له من فوائد صحية هائلة وتوفير المغذيات البالغة الأهمية وحماية الاطفال من الأمراض المهلكة من قبيل الالتهاب الرئوي ,وتعزيز النمو والنماء الأمثل لإطعام الطفل هو استمرار الرضاعة الطبيعية بعد مضى ستة أشهر من ولادة الطفل,إلى أن يبلغ من العمر عامين أو أكثر إقترانا مع تغذية تكميلية مأمونة ومناسبة.

صباح الخير

محمد فؤاد

أصدقائي الأطفال الصغار صباح الخير وأهلا وسهلا بكم معنا في لقائنا الجديد هذا من كل يوم سبت على صفحات 14اكتوبر لنرحل سويا إلى سماء قوس قزح المليء بازهى الألوان والجنان لكم انتم أيها الاحبه في كافة ربوع الوطن اليمني السعيد .

تعالوا لنحلق معا عبر أجنحة السلام لنعرف ماهي أفراحكم وأحزانكم نعيش الحدث والقصة والنصيحة المفيدة .

في هذا العدد نناقش في زاوية صباح الخير ظاهرة نراها كل يوم إمام أعيننا جميعا ولا نستطيع أن نحرك ساكناً ألا وهي لعب الأطفال بجانب المناهل والمجاري المياه الراكدة متناسين بذلك ضررها الصحي عليهم من عملية استنشاقهم للروائح الكريهة التي تنبعث منها إلى جانب قرصات البعوض المستمرة والذي يستغل مثل هذه البيئة القدرة لكي يضرب ضربته مستغلا بذلك حماسة وانشغال الأطفال باللعب ليضخ في دمائهم اعتى الأوبئة و الأمراض التي قد تؤدي بحياتهم بأغلب الأحيان للموت لأسمح اللّه .

والذي يزيد الطين بله هي تعامل الأطفال أثناء اللعب بالمياه الراكدة الممزوجة مع المجاري والتي هي بحد ذاتها مشكلة عويصة لا يمكن تفاديها إلا إذا قام الأهل بتوعية أبنائهم بخطورة التعاطي معها والابتعاد عن الأماكن التي تتواجد بها مثل هذه القاذورات المحملة بالآلاف من الجراثيم والطفيليات الضارة بصحته وكما تعلمون أعزائي وبالذات ربات البيوت أن مستشفياتنا وللأسف لا تتمتع هي الأخرى بالنظافة اللازمة لسلامة الأمراض من الأطفال وما بالك بالبيت أو الشارع مما قد يعرض أطفالكم للوصفات والرشتات الخاطئة واليوم من فتح عيادة قال انه طبيب أطفال بل تعتبر بنظري مثل هذه العيادات الخاصة مجرد مختبرات للتجارب الدواء على أجسامهم الملائكية الشفافة ولا يهم مثل هؤلاء الجزارين سوى جني الأموال وامتصاص دماء الفقراء دون شفقة أو رحمة تذكر فإلى متى سيظل الحال على ماهو .

بالأخير أعزائي أولياء الأمور حافظوا على سلامة أطفالكم من الوقوع في المحظور فالوقاية خير من العلاج ودمتم سالمين.

انتشرت في الآونة الأخيرة بشكل كبير :

زواج الصغيرات.. يغتال بسمات طفولتهن ويحرمهن متعة اللعب بسبب جهل أولياء الأمور وحاجتهم المادية

صنعاء/متابعات:

نجود، أروى، ريم، ثلاث زهرات صغيرات لم يعشن طفولتهن " المتعة واللعب" كسائر قريناتهن، فخلال ثلاثة أشهر متتالية اختطف الزواج المبكر بسمتهن ولم يتمتعن بطفولتهن بل تحولت حياتهن إلى مآسي وحزن، تلك الزهرات اللاتي الثلاث لم تتجاوز أكبرهن ريم الثانية عشر عاما فيما نجود وأروى في الثامنة من عمرهن لسن وحدهن من أرغمن على الزواج مبكراً فهناك المئات الصامتات اللاتي يعشن المأساة نفسها لكنهن لم يستطعن التوجه إلى المحاكم لكونهن في مناطق ريفية بعيدة، لكنهن كنّ الأكثر وعياً وشجاعة.

لقد أصبح الزواج المبكر في اليمن يمثل ظاهرة خطيرة موجودة بدأت تبرز وتظهر إلى العلن مؤخراً رغم قدمها إلا أن ظهورها بهذه الأشكال صار يمثل خطرا كبيراً على الطفولة لاسيما وان الزواج لم يكن متكافئاً من حيث العمر، وكان الفقر والبطالة السبب الرئيس في مثل هكذا ظاهرة.

فلم تكن قصة الطفلة نجود 8 أعوام التي ضجت بها مختلف وسائل الإعلام المحلية والخارجية قد انتهت إلا وظهرت قصة طفلة أخرى مشابهه لها في السن والمأساة "أروى" التي هي الأخرى ما كادت أن تنتهي من الظهور الإعلامي،حتى ظهرت ثالثتهم "ريم" 12 عام.. ففي الأسبوع قبل الماضي تقدمت الطفلة ريم إلى القاضي تطالب بفسخ زواجها من رجل في الثلاثين من عمره أجبرت على زواجه بعد أن قام والدها بخطفها من أمام منزلهم بأمانة العاصمة متوجهاً بها إلى مدينة رداع وهناك قام بتزويجها من ابن عمها الذي أكدت والدتها بمعاشرته لابنتها، وكما تقول ريم أنها تعرضت للضرب من قبل زوجها وحاولت الهرب دون جدوى.. وبعد رفضها وبكائها وتدهور حالتها النفسية قامت أسر ة عمها بنقلها إلى صنعاء لتسليمها إلى والدها.

وفي المحكمة وأمام القاضي كانت الطفلة ريم تجهش بالبكاء أثناء جلسة المحكمة للبت في قضيتها وتقول للقاضي «أسألك باللّه روحني عند أمي».. مهددة بالانتحار إذا لم يتم تنفيذ طلبها على ال فور، لكن القاضي رفض فسخ عقدها لأنها قاصر.

الطفلة ريم التي تعيش حالياً في دار رعاية الأيتام بسبب خلاف بين والديها" شابهت قصتها قبلها بشهر الطفلة أروى – ذات الـ8 أعوام " أجبرها والد ها على الزواج من شخص يكبرها بـ27 عاماً وذلك لحالة والدها المعيشية الصعبة والذي دفعه الفقر لأن يزوج فلذة كبده مقابل مهر بـ30 ألف ريال.

وكما روت أروى قصتها فإن من تزوجته كان يقوم بضربه ا وأمها وأخوتها في غياب والدها ويأمرها بأن تخرج للتسول وإحضار المال له، وتضيف:"حاول يوما نزع ملابسي بالقوة وهددني بسكين لكني أفلت وهربت إلى مستشفى قريتنا حيث تعمل إحدى جاراتنا لآخذ منها 50 ريالا تمكن ني من الهرب على أي وسيلة نقل عمومي عند أختي" وبعد أن قبض على والدها وأمين قريتهم الذي عقد القران وحبسهما لي ومين عقبها تم الطلاق من زوجها ذات المأساة عاشتها الطفلة نجود 8 سنوات قبل ثلاثة أشهر بعد أن أرغمها والدها على زواجها من شخص يكبرها بعشرين عاما وكانت تلاقي شتى صنوف العذاب والاهانة لكنها تخلصت من تلك المعاناة بعد أن تقدمت للقاضي لطلب الطلاق فطلقها من زوجها.

أسباب الظاهرة:

هناك عدة أسباب وعوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية تقف خلف ظاهرة الزواج المبكر في اليمن، من أهمها القيم الاجتماعية التي تنظر إلى الزواج المبكر باعتباره صيانة من الانحراف، حيث يعتقد الكثير من أولياء الأمور أن زواج البنت وهى صغيرة ضمان للحفاظ على شرفها وشرف العائلة وأن زواج الشباب بعد بلوغهم مباشرة يحميهم من الانحراف وممارسة الفاحشة.

لكن يبقى الإجماع على أن الفقر يلعب دورا رئيسيا في انتشار الظاهرة، فهو يجبر الكثير من الأسر على تزويج بناتها مبكرا للتخفيف من العبء المالي الذي يفرضه وجودهن مع أسرة الأب. وذلك ما تراه الأمين العام للمجلس الأعلى للأمومة والطفولة- الدكتورة نفيسة الجائفي" أن هناك شريحة كبيرة من الأولياء يستغلون الطفل وكأنها تجارة ويقوم بتزويج طفلته ويأمل منها مكسب مادي مالي من خلال المهر والشرط. مشيرة في حديثها لـ"المصدر" إلى أن انهيار القيم التي نحن فيها ومع الوضع الاقتصادي وانحناء الروابط الأسرية القوية التي تعود عليها المجتمع من قبل حيث كان الولي يختار الأنسب والذي هو على خلق ودين ويؤسس نواة للأسرة ويحافظ على ابنته كل ذلك عزز من زيادة ظاهرة الزواج المبكر. معتبرة أن ذلك سيزيد من البطالة لان هؤلاء الأطفال سيزيد من تسربهم من المدارس وهذا كله ينعكس على عجلة التنمية وليس فقط على النشاط السكاني وارتفاع السكان، وسيزيد ذلك فقر إلى الفقر الذي تعيشه البلد وسيزيد الجهل جهل.

وتذهب جميلة علي رجاء – مديرة مشروع البرنامج الدولي أيبك لمكافحة عمالة الأطفال: إلى أن سبب الزواج المبكر هو البحث عن أيادي عاملة حيث بعض الأمهات يبحثن عن زوجه لابنها لكي تعمل معها في البيت.

وحول أسباب انتشار ظاهرة الزواج المبكر وظهورها بشكل ملفت مؤخراً تقول الدكتورة الجائفي: إن الظاهرة منتشرة من زمان وموجودة في المجتمع وليست ظاهرة جديدة لكن وعي المجتمع بأهمية الطفل بدأ يزداد وبدأت الناس تستوعب مثل هذه المشاكل ما جعلها تبرز إضافة إلى زيادة نسبة الطلاق والمشاكل الأسرية وخروج الأطفال إلى الشوارع وانحرافهم. وتوافقها على ذلك رجاء والتي قالت: أن الظاهرة موجودة في السابق لكن هنالك الآن وعي لدى أولياء الأمور أو حتى الأطفال بأن يذهب بهذه القضية إلى القضاء أو المحامي، وتضيف في تصريحها لـ"المصدر" بتصوري انه بمقابل الثلاث الفتيات التي ظهرت قضيتهن هناك المئات اللاتي يزوجن ويطأن أيضا وهؤلاء من تشجعن لأسباب وعي عند الطفل أو عند الأم أو فزع وخوف عند الطفلة فتذهب إلى الجهات المعنية ولكن هناك المئات من الأصوات الصامتة حسب قولها.

وللحد من هذه الظاهرة أكدت جميلة رجاء "على أنه آن الأوان ليكون هناك تشريع واضح وصريح يتبناه مجلس النواب وتحديداً لجنة تقنين الشريعة من اجل أن تنتهي هذه الظاهرة، مضيفة ليس من الإنصاف للطفولة في هذا اليوم أن نفاجأ بمثل هذه الزيجات حتى أن الزوج لاينتظر للطفلة سن البلوغ ويكون سنه كبير وفي الثلاثين وهي في العاشرة أو اقل،مشددة على ضرورة الوقوف الجاد تجاه الظاهرة من مجلس النواب بالإضافة إلى منظمة أوكسفام واللجنة الوطنية للمرأة واتحاد المرأة والعمل من اجل تبني ذلك في مجلس النواب لتحديد إما 16 سنه أو 18 سنه. داعية" الجميع ليتحرك بهذا الإطار لان ذلك لا ينبغي وخاصة ونحن في اليمن الجديد وفي القرن الواحد والعشرين أن تذهب طفلة إلى القاضي لتفسخ زواجها حد تعبيرها.

من جانبه يرى مدير مكتب المنظمة السويدية لرعاية الأطفال في صنعاء - وليد البشير" أن من أسباب ظاهرة الزواج المبكر في اليمن هو أن القوانين اليمنية لا تحدد سنا للزواج، مشيرا إلى أن قانون الأحوال الشخصية اليمنى لعام 1992 كان يحدد الحد الأدنى لسن الزواج بـ15 عاما، لكن وبموجب تعديل حدث عام 1998 تم سحب المادة التي تحدد تلك السن ومن ثم لم يعد في القانون اليمنى ما يمنع من الزواج المبكر.

وأضاف أن اليمن يعانى من مشكلة أخرى تتمثل فى تضارب القوانين التي تحدد سن الطفولة، ففي بعض الأحيان يعتبر أن سن البلوغ هو سن الرشد الأمر الذي يترتب عليه تمييز قانوني بشأن التعامل مع الأطفال في نفس السن لأن سن البلوغ ليست واحدة بين البنات والأولاد وهى تتفاوت من شخص لآخر.

قانونية الزواج

تقول الأمين العام للمجلس الأعلى للأمومة والطفولة" هناك المادة موجودة في القانون وهناك اختلاف شديد عليها وفيه رفض تام بتحديد السن ونحن لسنا متشددين على السن 18 سنه نوافق أن يختار العمر الذي يراه المشرع حتى لو نزل إلى 15 عام المهم أن يضع عمر لأنه للأسف إذا تركنا موضوع تزويج الفتاة للولي فقد يستغلها وبعضهم يتاجر بها. وتضيف: هناك اختلفت الآراء حول سن الزواج حيث اقترح أن يرتبط سن الزواج بحسب قانون حقوق الطفل ولكن المادة التي وضعت الآن في القانون تقول إنه يحق لولي الأمر أن يزوج ابنته ما دامت صالحه للوطء، ولابد أن يعاد النظر في المادة.

وتوضح الجائفي " أن اليمن عرفت قانون الأحوال الشخصية عام 1992م بعد قيام الوحدة المباركة وكان هذا القانون يمنع زواج الأنثى قبل سن 15 سنة والذكر قبل سن 18سنة واستمر هذا القانون نافذا إلى عام 1996م حيث عدلت المادة وأصبح ليصبح بمقدور الأب بموجب القانون تزويج ابنته متى يشاء ولو كانت ابنة يوم واحد، وتشير إلى انه تم إلغاء المادة تماماً ونحن نطالب بإعادة المادة وإدراجها في قانون حقوق الطفل.

دور المنظمات

تطالب العديد من منظمات المجتمع المدني بتعديل قانون الأحوال الشخصية وتحديد سن الزاج بـ 18 عاما وقد أطلقت الشبكة اليمنية لمناهضة العنف ضد المرأة (شيما) بالتعاون مع اتحاد نساء اليمن ومنظمات مدنية أخرى مهتمة بالمرأة ولمدة ثلاث سنوات أول حملة توعوية من نوعها للتعريف بمخاطر الزواج المبكر وانعكاساته الصحية والنفسية والاجتماعية.

منظمة سياج لحماية الطفولة بادرت في مناهضة هذه الظاهرة حيث كانت سباقة إلى نشر وتبني قصة الطفلة نجود كما عقدت ندوة علمية ضد زواج القاصرات أواخر إبريل 2008م.

وهدفت الندوة التي شارك في فعالياتها أطباء واختصاصيون نفسيون واجتماعيون وعلماء دين وشخصيات حقوقية ومدنية إلى إيجاد وعي اجتماعي بمخاطر الزواج المبكر وضرورة تأخير الزواج إلى سن الثامنة عشرة على الأقل بالإضافة إلى توضيح أن تأخير سن الزواج نسبيا أمر لا يخالف تعاليم الدين الإسلامي ما دام ذلك يحقق المصالح ويدرأ المفاسد ويكفل المزيد من الاستقرار الأسري والاجتماعي.

إمداد الحماية والرعاية للمجموعات المشردة محليا

مدير مكتب الممثل الخاص للأمين المعني بالأطفال والصراعات المسلحة

يؤدي التشريد القسري إلى اقتلاع الأطفال والشباب من بيئاتهم في وقت يكونون في أمس الحاجة إلى الاستقرار. وأثناء الهرب والتشرد قد ينفصل الأطفال عن أسرهم مما يزيد من درجة تعرضهم للاستغلال والأذى. وكشف تحليل أجري لغرض هذا الاستعراض أن هناك في عام 2006 ما يقدر بـ 18.1 مليون طفل من بين السكان الذين تضرروا من جراء التشرد؛ وهناك، ضمن هذه المجموعة، ما يقدر بـ 5.8 ملايين طفل لاجئ و 8.8 ملايين طفل مشرد داخليا.

يساور الممثلة الخاصة قلق بالغ إزاء أمن مخيمات المشردين داخليا واللاجئين. ومن الواضح أنّ هذه المخيمات أصبحت الأهداف المفضلة لدى أطراف الصراع وأفضل المناطق لتجنيد الأطفال. وأدّى انعدام الأمن في المخيمات وفي محيطها إلى جعل الأطفال أقل مناعة إزاء الانتهاكات الخطيرة الأخرى في أمكنة مثل دارفور وشرق تشاد وجمهورية الكونغو الديمقراطية.

تشير الأدلة إلى أن مخيمات اللاجئين والمشردين داخليا هي في كثير من الأحيان ميادين لتجنيد الأطفال المحاربين بسبب الاحتشاد الملائم للأطفال في تلك المناطق. ويواجه هؤلاء الأطفال أيضا مخاطر شديدة فيما يتعلق بالحماية أثناء الهروب إضافة إلى المخاطر خارج حدود المخيمات، التي ربما تشمل القتل أو التشويه أو العنف الجنسي أو الاختطاف أو الاتجار. ففي دارفور بالسودان، مثلا، شهد المجتمع الدولي مستويات خطيرة من العنف الجنسي، وهو في معظم الأحيان يتخذ كإستراتيجية متعمدة للإذلال والتطهير العرقي. وقد وُجِّهتْ هذه الهجمات بصفة خاصة ضد المجموعات السكانية الكبيرة من الفتيات والنساء المشردات داخليا. وفي العديد من الأماكن أصبح جلب الماء والحطب خارج حدود المخيمات مغامرة حياة أو موت بالنسبة للفتيات.

ينبغي المحافظة على الفصل بين المدنيين والعناصر المسلحة وعلى الطابع المدني لمخيمات المشردين باعتبار ذلك من التدابير الهامة في مجال الحماية.

يتعين على المجموعة الدولية أن تعالج بصورة منهجية أكثر الضعف الحاد الذي تعانيه هذه الفئة من الأطفال وينبغي أن ينصب اهتمام المجموعة عليها من حيث الجهود الجماعية في مجال الدعوة والأنشطة التي تنفذ في إطار البرامج .

تأجيل مسح عمل الأطفال في اليمن إلى أكتوبر المقبل

14 أكتوبر /متابعات:

أجلت اللجنة الإشرافية لمسح عمالة الأطفال عملية المسح إلى أكتوبر المقبل لتتزامن مع انطلاق العام الدراسي القادم 2008 / 2009م بعد أن كان مقرر لها إن تبدأ في أغسطس الجاري.

وذكرت منى سالم عضو اللجنة الإشرافية لمسح عمالة الأطفال لـ26سبتمبرنت إن عملية التأجيل إلى بداية العام الدراسي تأتي لمعرفة العدد الحقيقي للأطفال العاملين والمتسربين من المدارس .

موضحة إن إجراء المسح خلال العطلة الصيفية سيعطي أرقاما غير صحيحة عن نسبة عمالة الأطفال, باعتبار إن عدد من الأطفال يذهبون إلى العمل في الشوارع خلال العطلة الصيفية .

وأشارت منى سالم إن المسح يهدف إلى معرفة نسبة الأطفال المتسربين من المدارس , كذا نوعية الإعمال التي يمتهنها الأطفال , بالإضافة إلى معرفة المناطق المرتفعة فيها نسبة الأطفال العاملين , والخروج بمؤشرات وأرقام حول ظاهرة عمل الأطفال ووضع الخطط والبرامج والسياسات الموجهة نحو الحد من عمالة الأطفال وخصوصا أسوأ أشكالها التي تنعكس بشكل سلبي على الأطفال سوى من الناحية الصحية أو التعلمية.

نادي الرسامين الصغار

الطفله بسمه محمد مدرسة شعب العيدروس

حكيم الأطفال

بقرة بني إسرائيل ورد ذكر القصة في سورة البقرة الآيات 67 - 73

القصة:

مكث موسى في قومه يدعوهم إلى اللّه. ويبدو أن نفوسهم كانت ملتوية بشكل لا تخطئه عين الملاحظة، وتبدو لجاجتهم وعنادهم فيما يعرف بقصة البقرة. فإن الموضوع لم يكن يقتضي كل هذه المفاوضات بينهم وبين موسى، كما أنه لم يكن يستوجب كل هذا التعنت. وأصل قصة البقرة أن قتيلا ثريا وجد يوما في بني إسرائيل، واختصم أهله ولم يعرفوا قاتله، وحين أعياهم الأمر لجؤوا لموسى ليلجأ لربه. ولجأ موسى لربه فأمره أن يأمر قومه أن يذبحوا بقرة. وكان المفروض هنا أن يذبح القوم أول بقرة تصادفهم. غير أنهم بدءوا مفاوضتهم باللجاجة. اتهموا موسى بأنه يسخر منهم ويتخذهم هزوا، واستعاذ موسى باللّه أن يكون من الجاهلين ويسخر منهم. أفهمهم أن حل القضية يكمن في ذبح بقرة.

إن الأمر هنا أمر معجزة، لا علاقة لها بالمألوف في الحياة، أو المعتاد بين الناس. ليست هناك علاقة بين ذبح البقرة ومعرفة القاتل في الجريمة الغامضة التي وقعت، لكن متى كانت الأسباب المنطقية هي التي تحكم حياة بني إسرائيل؟ إن المعجزات الخارقة هي القانون السائد في حياتهم، وليس استمرارها في حادث البقرة أمرا يوحي بالعجب أو يثير الدهشة.

لكن بني إسرائيل هم بنو إسرائيل. مجرد التعامل معهم عنت. تستوي في ذلك الأمور الدنيوية المعتادة، وشؤون العقيدة المهمة. لا بد أن يعاني من يتصدى لأمر من أمور بني إسرائيل. وهكذا يعاني موسى من إيذائهم له واتهامه بالسخرية منهم، ثم ينبئهم أنه جاد فيما يحدثهم به، ويعاود أمره أن يذبحوا بقرة، وتعود الطبيعة المراوغة لبني إسرائيل إلى الظهور، تعود اللجاجة والالتواء، فيتساءلون: أهي بقرة عادية كما عهدنا من هذا الجنس من الحيوان؟ أم أنها خلق تفرد بمزية، فليدع موسى ربه ليبين ما هي. ويدعو موسى ربه فيزداد التشديد عليهم، وتحدد البقرة أكثر من ذي قبل، بأنها بقرة وسط. ليست بقرة مسنة، وليست بقرة فتية. بقرة متوسطة.

إلى هنا كان ينبغي أن ينتهي الأمر، غير أن المفاوضات لم تزل مستمرة، ومراوغة بني إسرائيل لم تزل هي التي تحكم مائدة المفاوضات. ما هو لون البقرة؟ لماذا يدعو موسى ربه ليسأله عن لون هذا البقرة؟ لا يراعون مقتضيات الأدب والوقار اللازمين في حق اللّه تعالى وحق نبيه الكريم، وكيف أنهم ينبغي أن يخجلوا من تكليف موسى بهذا الاتصال المتكرر حول موضوع بسيط لا يستحق كل هذه اللجاجة والمراوغة. ويسأل موسى ربه ثم يحدثهم عن لون البقرة المطلوبة. فيقول أنها بقرة صفراء، فاقع لونها تسر الناظرين.

وهكذا حددت البقرة بأنها صفراء، ورغم وضوح الأمر، فقد عادوا إلى اللجاجة والمراوغة. فشدد اللّه عليهم كما شددوا على نبيه وأذوه. عادوا يسألون موسى أن يدعو اللّه ليبين ما هي، فإن البقر تشابه عليهم، وحدثهم موسى عن بقرة ليست معدة لحرث ولا لسقي، سليمة من العيوب، صفراء لا شية فيها، بمعنى خالصة الصفرة. انتهت بهم اللجاجة إلى التشديد. وبدءوا بحثهم عن بقرة بهذه الصفات الخاصة. أخيرا وجدوها عند يتيم فاشتروها وذبحوها.

وأمسك موسى جزءاً من البقرة (وقيل لسانها) وضرب به القتيل فنهض من موته. سأله موسى عن قاتله فحدثهم عنه (وقيل أشار إلى القاتل فقط من غير أن يتحدث) ثم عاد إلى الموت. وشاهد بنو إسرائيل معجزة إحياء الموتى أمام أعينهم، استمعوا بآذانهم إلى اسم القاتل. انكشف غموض القضية التي حيرتهم زمنا طال بسبب لجاجتهم وتعنتهم.

نود أن نستلفت انتباه القارئ إلى سوء أدب القوم مع نبيهم وربهم، ولعل السياق القرآني يورد ذلك عن طريق تكرارهم لكلمة "ربك" التي يخاطبون بها موسى. وكان الأولى بهم أن يقولوا لموسى، تأدبا، لو كان لا بد أن يقولوا: (ادْعُ لَنَا رَبَّكَ) ادع لنا ربنا. أما أن يقولوا له: فكأنهم يقصرون ربوبية اللّه تعالى على موسى. ويخرجون أنفسهم من شرف العبودية للّه. انظر إلى الآيات كيف توحي بهذا كله. ثم تأمل سخرية السياق منهم لمجرد إيراده لقولهم: (الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ) بعد أنْ أرهقوا نبيهم ذهابا وجيئة بينهم وبين اللّه عز وجل، بعد أن أرهقوا نبيهم بسؤاله عن صفة البقرة ولونها وسنها وعلاماتها المميزة، بعد تعنتهم وتشديد اللّه عليهم، يقولون لنبيهم حين جاءهم بما يندر وجوده ويندر العثور عليه في البقر عادة.

ساعتها قالوا له: "الآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ". كأنه كان يلعب قبلها معهم، ولم يكن ما جاء هو الحق من أول كلمة لآخر كلمة. ثم انظر إلى ظلال السياق وما تشي به من ظلمهم: (فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ) ألا توحي لك ظلال الآيات بتعنتهم وتسويفهم وممارواتهم ولجاجتهم في الحق؟ هذه اللوحة الرائعة تشي بموقف بني إسرائيل على موائد المفاوضات. هي صورتهم على مائدة المفاوضات مع نبيهم الكريم موسى.

أصدقائي الأطفال الأحباء إياكم والكذب وتمسكوا بالصدق فأنه منجٍ واجتنبوا رفاق السوء فهم مفسدون للأخلاق